دور اللغة في عملية التواصل و الاتصال

The role of language in communication and communication

الباحثة درقام الزهرة
قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية
جامعة وهران2 محمد بن احمد

الملخص:

لا غرو أن التواصل هو المفهوم الأكثر مركزية في علم الاجتماع الألماني المعاصر. إنه يمثل بالنسبة إلى هابرماس ونيكلاس لوهمان نقلة براديجمية، أو نقلة تواصلية، يعني ذلك أن مفهوم التواصل أصبح ضروريا من أجل وصف وتشريح البناء الاجتماعي، حيث اللغة تمثل أرقى أنواع التخاطب والتواصل، فقد عزا إليها رومان ياكبسون R.Jakobson ست وظائف أساسية تلخص مستويات التواصل و التخاطب، ومستويات الممارسة وهي: الوظيفة التعبيرية fonction expressive، الوظيفة المرجعية، fonction référentielle،الوظيفة التأثيريةfonction conative ،الوظيفة الشعرية fonction poétique،الوظيفة ما بعد اللغويfonction métalanguistique ؛ والعقل التواصلي هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات والعقل الشمولي المنغلق، فهو أكثر كفاءة وحداثة فالنشاط الاتصالي يسعى إلى وضع شروط فاللغة وسيلة للتواصل بين الأفراد على نظام الحوار المستند إلى أدلة وحجج عقلية فهو أكثر كفاءة وحداثة. فالنشاط الاتصالي يسعى إلى وضع شروط فاللغة وسيلة للتواصل بين الأفراد على نظام الحوار المستند إلى أدلة وحجج عقلية فهو أكثر كفاءة وحداثة فالنشاط الاتصالي يسعى إلى وضع شروط النشاط التواصلي طريقا لانفلات من فلسفة الذات والتحرر ، وتجاوز للتصورات التقليدية للعالم، وقد تحقق مفهوم التواصل كنظرية علمية بداية مع الأمريكي جورج هربرت ميد ونظريته عن التفاعل الرمزي. إن ميد دافع عن فكرة أن التواصل هو المبدأ المؤسس للمجتمع. وهو يفهم التواصل كتدخل للآخر في تكوين وبناء الأنا أو الهوية. إن الأنا بالمعنى الترنسندنتالي، المكتفي بذاته، لا مكان لها في عالم التواصل. والوعي في نظره إمكان وليس بناء قبليا. فلا تحقق للوعي خارج التفاعل الاجتماعي، خارج التواصل، وفي استقلال عن بقية أعضاء المجتمع، وعليه هل استطاع هابرماس في مشروعه التواصلي من بناء أطروحة لغوية حجاجية يجمع فيه الأطراف المتنازعة وفق حوار بريء لا يتلاعب برغبات المواطنين من طرف محترفي وسائل الإعلام ؟ وهل بإمكان الترجمة بلوغ الإجماع الثقافي و تجاوز الاختلاف الانطولوجي؟ وما دور الترجمة في تحقيق التواصل الاجتماعي و المعرفي؟

الكلمات المفتاحية: التواصل – اللغة – التداولية – الاتصال – النقد – العقل – الأخلاق

Abstract:

It is not surprising that communication is the most central concept in contemporary German sociology. This means that the concept of communication is necessary to describe and dissect social structure, where language is the best communication and communication, has been attributed to Roman Jacobson R.Jakobson six basic functions summarize the levels of communication Communication, and levels of practice: fonction expressive, reference function, fonction référentielle, fonction conative, fonction poétique, post-language function fonction métalanguistique; communicative mind is an activity that transcends the mind centered on the self and the closed total mind; More efficient and modern communication activity seeks to establish conditions Language is a means of communication between individuals on the system of evidence-based dialogue and mental arguments is more efficient and modern. Communicative activity seeks to establish conditions Language is a means of communication between individuals on the system of dialogue based on evidence and mental arguments is more efficient and modern communication activity seeks to establish the conditions of communication activity a way to escape from the philosophy of self and freedom, and beyond the traditional perceptions of the world, has achieved the concept of communication as a scientific theory With the American George Herbert Meade and his theory of symbolic interaction. Meed defended the idea that communication is the founding principle of society. He understands communication as an intervention of the other in the formation and construction of ego or identity. The ego in the transcendental sense, self-contained, has no place in the world of communication. And awareness in his view is possible and not built in the tribal. Do not achieve awareness outside the social interaction, outside of communication, and independent of the rest of the members of the community, and so was Habermas in his communication project to build a linguistic language of pilgrims in which the conflicting parties in accordance with an innocent dialogue does not manipulate the wishes of citizens by media professionals? Can translation achieve cultural consensus and transcend the ontological difference? What is the role of translation in achieving social and cognitive communication?

Keywords: communication - language - deliberation - communication - criticism - reason – ethics

- باحثة، مشروع فلسفة عامة، شهادة الدكتوراه الطور الثالث، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، مخبر الفلسفة وتاريخها (جامعة وهران2)، zohra.philo@gmail.com

المقدمة:

اللغة تمثل أرقى أنواع التخاطب والتواصل، فقد عزا إليها رومان ياكبسون R jakobson فاللغة وسيلة للتواصل بين الأفراد على نظام الحوار المستند إلى أدلة وحجج عقلية...فالعقل التواصلي هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات والعقل الشمولي المنغلق، فهو أكثر كفاءة وحداثة فالنشاط الاتصالي يسعى الى وضع شروط فاللغة وسيلة للتواصل بين الأفراد على نظام الحوار المستند إلى أدلة وحجج عقلية...فالعقل التواصلي هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات والعقل الشمولي المنغلق، فهو أكثر كفاءة وحداثة فالنشاط الاتصالي يسعى الى وضع شروط فاللغة وسيلة للتواصل بين الأفراد على نظام الحوار المستند إلى أدلة وحجج عقلية...فالعقل التواصلي هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات والعقل الشمولي المنغلق، فهو أكثر كفاءة وحداثة فالنشاط الاتصالي يسعى الى وضع شروط النشاط التواصلي طريقا لانفلات من فلسفة الذات والتحرر ، وتجاوز للتصورات التقليدية للعالم، أن اللغة تمثل أرقى أنواع التخاطب والتواصل، فقد عزا إليها رومان ياكبسون R jakobson ست وظائف أساسية تلخص مستويات التواصل و التخاطب،ومستويات الممارسة وهي: الوظيفة التعبيرية , fonction expressiveالوظيفة المرجعية،fonction référentielle،الوظيفة التأثيريةfonction conative،الوظيفة الشعريةfonction poétique،الوظيفة مابعد اللغويةfonction metalinguistique .يعد الفعل التواصلي من ضروريات التفكير في الوجود معا أو في "النحن"، ويتضمن فعل التواصل الإبلاغ والتخاطب ، حيث يمكن النظر إليه في أفق إشكالية الحقيقة ومن منظور إيتيقا العيش معا، وهو بذلك منخرط في خطابات التواصل الاجتماعي، ، وعليه **كيف يمكن للغة أن تحقق التواصل ؟، وما هي الأبعاد الإيتيقية التي تجعل منه مقبولا ضمن الخطاب الاجتماعي؟**

واذا كانت اللغة على حد تعبير **ادوارد سابير**: ليست تعبير و قول : "انها بنية التي تتحكم في التعبير وتضفي عليه نماذجها،".[1] فالظاهرة اللغوية تتكون من الصوت اللغوي تتضمن

[1] عمر مهيبل ، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ديوان المطبوعات الجامعية ط2 1993 ص21

جوانب مختلفة و مركبة من النطق و الصوت و السمع و هذه العناصر الحسية ترتبط ما هويا بقدرة مجردة. «لبيان ان اللغة لا يمكن ان تكون الا منظومة من قيم مجردة يكفي الأخذ في الحسبان اعتبار العنصريين الذين يشاركان في وظيفتها وهما " الأفكار و الاصوات و يمكن تشبيه اللغة بورقة يمثل الفكر وجهها الاول و الصوت وجهها الأخر"[2] جعل **هابرماس** من سؤال والتواصل هاجسه المركزي ومن نظرية النشاط التواصلي طريقا لانفلات من فلسفة الذات ، وتجاوز للتصورات التقليدية للعالم، ومن ذلك من خلال تفعيل النقد الذاتي وفي الاستخدام الحر للعقل، إن فلاسفة النظرية النقدية حاولوا ان يستحدثوا وسائل تغيير تفكير الإنسان، وساهموا في مقاربة عدة مجالات من نقد السلطة، والكشف عن آليات السيطرة في الثقافة، نقد المشروع التوتاليتاري، مناهضة الميتافيزيقا، فهم الراهن، الانخراط في الحركة التاريخية، الابتعاد عن النسقية وإعطاء للفلسفة معنى مغاير لكل إرادة كليانية. **كيف يحقق التواصل التفاعل مع الغير في اطار من الشفافية ؟ وكيف يتجرد من هاجس الهوية و الانغلاق على الذات بخلق جسور التفاعل بواسطة سنن و رموز لغوية؟**

العرض:

1- اللغة والتواصل[3] الفرق بين الحجاج و التواصل

ان أهمية اللغة تكمن في أن الإنسان أودع فيها عالما خاصا بيه و لا تتجلى حقيقته إلا من خلال تواصله مع الأخريين ، فالتواصل **هو** تعميم. الشيء و اكتشاف الأخر و الاقتراب منه و الاهتمام بانشغالاته ."**إدا رجعنا إلى القاموس نجد آن التواصل** لينتقل شيء من موضع إلى أخر ،وهذا الشيء قد يكون رسالة أو رمزا أو معنى"[3] **فهل هناك ضوابط للحوار و التواصل؟**

---

[2] نفس المرجع، ص21
[3] محمد عابد الجابري ـ،في غمار السياسة ،فكرا و ممارسة ،الشبكة العربية للابحات و النشر، علي مولا ط1 2010 ص 63

إن التواصل لامس كل الحقول المعرفية لنقل الأخبار ولتحقيق التخاطب بين الأفراد ويربكارتون " ان التواصل هو جعل الشيء مشتركا أي الانتقال من حالة فردية إلى حالة جماعية"5انخرط الانسان في الحياة الاجتماعية. فالتواصل هو إمكانية التفاعل بصدق عن مقاصدنا و نوايانا بحجج معقولة وواقعية .: مادامت رسائل التواصل غير بريئة ... نمثل إيتقا المناقشة حسب **ها برماس** شكلا من أشكال التحرر من التشويه والوقاية منه وهي تهدف الوصول إلى أخلاقيات الحوار والفهم المشترك .إن الهيمنة وصراع المصالح تتم على أرضية العلامات والأشكال المتعددة للتعبير....وفق تقاليد يزيل المسافات الإيديولوجية.
اذن ماهي الحجاج وشروطه وغايته؟
أعلن ها برماس من أهمية اللغة و خاصة مستند على الحجة القوية والقائمة على أسس الاقناع للفعل والتأثير في الآخر. لم يعد التواصل يهتم بتصورات الخطاب دون المقام .(إن مبدأ الحجاج هو إيتيقي وهدفه بلوغ الإجماع ، ودفع المشاركين في المناقشة العملية ... لتوضيح الأدوار المناطة بهم ، والحرص على الفهم البنياذاتي. إن اللغة التواصلية في تصوره تتوقف على شروط الفهم والأخلاق والتعقل .

ساهم هابرماس في وضع قواعد ولغة وحياة مشتركة عادلة ووحيدة للجميع مرتبطة لفهم مسبق عن موضوع الحجاج سواء بالنسبة للمرسل أو الخصم فاللغة التي يجري بها الحجاج تعمل القبول لديه ومن هنا فإن هابرماس يجعل الحجاج آلية للبرهنة أو النقد للأطروحة قيد المحاجة ،فكل شيء في عملية الحجاج يرتبط بالفهم والاتفاق والمشاركة .

دافع **هابرماس** عن التواصل ودوره في التحولات السياسية والفكرية العلمية، غير أن الإنسان في هذا العصر أصبح التكنولوجية مشحون بالحروب والكوارث زعزعت الإيمان بالقيم والمبادئ الذي دعا إليها مشروع التواصل ، فظهرت فلسفات متشائمة حول المسار التاريخي للتقدم، فلقد قدمت فلسفات ما بعد الحداثة البنيوية والتفكيكية نقدا جذريا للعقل والتقدم واتهمت الأنوار بالإفلاس، تقلص مفهوم المطلق، الوثوق، تعدد الدلالات، نسبية المصالح. التحرر، وهذا ما جعل **هابرماس** يؤسس لفلسفة نقدية لما بعد الحداثة "...إن هابرماس تعرض في مشروعه الفلسفي، الذي جعل من سؤال الحداثة والتواصل هاجسه المركزي، ومن نظرية النشاط التواصلي مسلكا للانفلات من فلسفة الذات والتحرر من عقلانية المؤسسات الحديثة، انه مجال عمومي يسجن الجسد داخل

نسق وعقلانية صارمة..."[4]، وهذا من خلال نقده **لفوكو هيدجر وجاك دريدا** الذي عملوا على نقد العقلنة دون تميز، بين ما هو صالح لتحرير الإنسان وما هو أداتي، يتحالف مع السلطة والنظام يحاصر الفرد، والذي فقد للإنسان هويته، ؟، وما هي الآفاق النقدية لمشروع **هابرماس؟ وماهي آليات التواصل اللغوي.؟**

2- التكنلوجيا و دورها في تقليص المسافات بين المتحاورين

كشف هابرماس على مكونات الخطاب الكلاسيكي بنقده لها كون الوضعية التجريبية المؤسسة على العقلانية تعتبر نفسها المسلك الوحيد لفهم العالم، وتحدد نشاط الإنسان من خلاله، حيث كل نمط معرفي يخضع لتوجيه مصلحة خاصة، ويتساءل **هابرماس** لماذا تعمل العلوم الحديثة على تجاهل عالم الإنسان؟ إن وفرة الخيرات والمعارف والاتجاهات أدى إلى تحرير الإنسان، ولكن بريق ما بعد الحداثة أفقده قيمته، فأصبح سجين اللذة والرغبة والاستهلاك والرفاهية والإعلام بكل أشكاله وأطيافه، والعولمة التي حولته إلى عبد يستهلك منتوجاتها الرمزية والمادية والروحية، فأصبحت أساس مجتمعات الوفرة والاستهلاك.

حسب إن "... القيمة التحريرية للإنسان تخلصه من آلية السيطرة، التي تسكن المعرفة العلمية التي بدأت بالسيطرة على الطبيعة لتنقل السيطرة على الإنسان وعليه فإن القدرة النقدية يمكن للإنسان فهم ذاته..."[5]، اهتم **هابرماس** بإشكالية المعرفة والمصلحة ، "...في سياق تستدعي فيه الحداثة التقنية نوعا من التماهي بين المعرفة والسلطة، بين الفكر ومختلف المصالح التي تعبر عن المجتمع الحديث..."[6]، يدعو هابرماس إلى التسلح بروح نقدية وتعقل الواقع والابتعاد التجريد، وتوجه نحو العالم المتعيش وتجديد علاقته مع إنسان الراهن من خلال الممارسة الفعلية للتواصل بين الذوات وسط عالم موضوعي ،"...المصالح تلك التوجهات الأساسية التي تلازم شروط أساسية معينة لإعادة الإنتاج

---

[4] آفايه نور الدين ، المرجع السابق، ص 10.

[5] المحمداوي علي عبود ، الدكتور اسماعيل مهنانة، مدرسة فرانكفورت النقدية، ص 222.

[6] أفاية نور الدين ، المرجع السابق، ص 56.

ولتأسيس ذاته للنوع البشري وتحديدا العمل والتفاعل بين الذوات..."[7]، وهو رهان الأساسي للتواصل.

تتمثل دعوة **هابرماس** في إعادة تجديد وإرساء معقولية تستدعي المصلحة "...المصلحة هي الرضي الذي يربطنا مع تصور وجود موضوع ما أو وجود فعل ما، وهي تهدف إلى الكينونة، لأنها تعبر عن علاقة الموضوع المعني بمقدرتنا على التمني، المصلحة أما أنها تشترط مسبقا احتياجا ما، أو أنها تنتج احتياجا ما..."[8].

ربط **هابرماس** المعرفة بالمصلحة ضمن أنماط معينة، ما نتج عنه أنه "...في مقابل العالم الطبيعي ينتج الفعل الأداتي؛ في مقابل العلوم الاجتماعية تتجلى فعاليتين: الفاعلية الإستراتيجية الفاعلية التواصلية، وفي مقابل عالم الذات تنتج فاعلية التأمل والتحرر..."[9]، وبذلك فإن العلم الوضعي ينتج عقلا ذاتيا حسابيا ينبغي التنبه له و إبقاءه ضمن حدود ما هو مادي، أما مجال التأمل، فإنه ينمي فعاليات الذات التحررية. ، فنقل **هابرماس** مشروعه من المعرفة إلى الإتيقا.

دمج **هابرماس** هذه المجالات، مجال الواقعية الموضوعية العلمية، مجال المعايير والمشروعية الأخلاقية، مجال القيم والمعايير الجمالية، فأعاد صياغة العقلانية ليؤكد على النشاط التواصلي، "... بنى هابرماس الإرث الكانطي الجديد الذي يأخذ شكل التوزيع الثلاثي لأصناف المعقولية ودوائرها: المعرفة الأداتية والعملية، الأخلاقية والجمالية التعبيرية، وسعى إلى توحيد هذه المجالات إلى ما يمثل أساس المعقولية نفسها وهو التواصل..."[10]، لذلك باعتباره أن الإنسان كائن تواصلي، سعى إلى تكوين فكر نقدي تنويري بوعيه لحاضره وراهنه، فجمع بين اللغة والتحليل النفسي والتأويل لكي يمكن من التواصل.

---

[7] هابرماس يورغن، المعرفة والمصلحة، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، ط1 2001، ص230.

[8] المرجع نفسه، ص 232.

[9] المحمداوي علي عبود واسماعيل مهنانة ،المرجع السابق، ص 223.

[10] حمدي أبو النور ، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، السوبر للطباعة والنشر والتوزيع، 2012، ص86.

حاول **هابرماس** تطوير التنوير بالمزيد من المناقشة العقلية، وذلك بتعميق الوعي بالحداثة "...وعي الحداثة تخلق معاييرها من ذاتها، الوعي بالمرحلة التاريخية، بحث هابرماس

عن المضمون المعياري للحداثة داخل عالم تتجاذبه نوعان من إرادة القوة: 1) إرادة التحرر ، 2) إرادة السلطة، إن الحروب التي عرفتها البشرية تركت الإنسان يعيش بلا أوهام بدون نصوص سردية كبرى..."[11]، حيث ان فقدان الثقة في الحداثة ترك خلفه فراغا رهيبا.

يدافع **هابرماس** عن الحداثة ويعتبره مشروع لم يكتمل، فالحداثة أسست لحضارة إنسانية مدركة وعيها بالزمن ولهذا وظف النقد كأداة إجرائية في التفكير، وانتقد العقل الذي تحول غلى عقل الأداتي متمركز في الفكر الغربي، مستنبطا عقلا تواصليا "...في إطار العقلانية التواصلية هي الكفيلة بوأد الهوة السحيقة التي تفضل عالمنا والأنساق..."[12]، حيث أعادت الفلسفة حساباتها من خلال اختراقها للمرجعيات لقيام مشروع تواصلي، "...إن عملية التحديث تفترض العقلنة، و**أخلاق تواصلية التداوليات الكلية**، حيث التبادل المتكافئ ومواجهة الحجة بالحجة، أن هابرماس يؤطر مشروعه ضمن الدعوة إلى إعادة الاعتبار لنوع من العقل العملي، يسترشد بأخلاق تواصلية لا تفرض بواسطة سلطة..."[13]، فبإمكان التطور أن يطبق على العالم المعيش ويدمج في سياق من الممارسات بين الناس.

3- العولمة و التواصل

تساءل **هابرماس** عن سبب عزوف العلوم الحديثة عن فهم الإنسان، فجعل من التواصل هاجسه النظري والعملي، خاصة في مرحلة غياب الأفق الكوني، فالحداثة دعوة لتجديد مفاهيم الماضي ومناهضة سعيا إلى تأسيس قواعد خاصة لما هو جديد، "...فاللغة

---

[11] المرجع نفسه، ص86.

[12] المحمداوي علي عبود و إسماعيل مهنانة، المرجع السابق، ص 227.

[13] أفاية نور الدين، المرجع السابق ص 179.

وسيلة للتواصل بين الأفراد على نظام الحوار المستند إلى أدلة وحجج عقلية...فالعقل التواصلي هو فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات والعقل الشمولي المنغلق، فهو أكثر كفاءة وحداثة فالنشاط الاتصالي يسعى الى وضع شروط المجتمع الممكن..."[14]، حيث يعتبر نقد العقل الأذاتي مفتاح بناء عقل تواصلي منفتح على المعيش وفعال ضمن فضاء بين ذاتي تفاعلي.

خلق الزمن الراهن للإنسان قنوات الاتصال في ظل العولمة، فأصبحت الحداثة مرادفة للتواصل، وأصبح بإمكانها الانتشار في كل مكان مع مختلف المرجعيات الثقافية، "...إن التجربة التواصلية تأتي من العلاقة التفاعلية بين الأشخاص داخل العالم المعيش وفي إطار من التوافق اللغوي والتذواتي، ومن ثمة فإن كل فاعل يملك القدرة على الكلام والفعل يمكنه أن يشارك في التواصل، وأن يعلن عن ادعاءاته للصلاحية لكن شريطة أن يراعي مقاييس المعقولية والحقيقة..."[15]، لقد اقتحم **هابرماس** ميدان التواصل استجابة لمتطلبات الإنسان الانواري الذي انقرضت في عصره قيم الحق، الخير والجمال أي إلى فراغ أخلاقي.

قامت فلسفة ما بعد الحداثة على قيم برغماتية، حيث أصبح الأفراد ذرات مستقلة لا تربطها إلا الحاجة والمصلحة، فانتصرت الحرية الفردية داخل فضاء الوجود الإنساني، وأصبح الكلام هو التفصيل الدلالي لمفهومية الكينونة في العالم، يؤكد **هابرماس** على قضية التواصل، فأعاد صياغة العقلانية في كونها نشاط تواصلي تبرهن عليه ذوات قادرة على الكلام، و"...تأسيس نظرية عقلانية، انجاز عقل تواصلي يتجاوز الذات ليكون نسيجا من الذوات المتواصلة التي تتجاوز ذاتيتها، إن اللغة تمكننا من إحداث قطيعة من أطروحات تقليدية..."[16]، إن فلسفة الذات استنفذت كل طاقتها وعلينا إدراج مسألة التفاهم والتواصل، ولقد تأثر **هابرماس** بأعمال اللغويين كل من جون أوستين Austin وجون سيرل Searl في نظرية أفعال الكلام التي تجمع بين الدلالة والتركيب والتداول.

---

[14] حمدي أبو النور ، المرجع السابق، ص 135.

[15] أفاية نور الدين، المرجع السابق ، ص196.

[16] حمدي أبو النور ، المرجع السابق، ص 143.

يحاول **هابرماس** التحرر من فلسفة الوعي عبر التنظير للعقلانية التواصلية، والتي تقوم على التفرقة بين مجالات المعرفة وشروط حصول مصالحها و فضاءاتها الخاصة بها، العالم الموضوعي، العالم الاجتماعي، العالم الذاتي،"...إن التفسيرات المعرفية، والتوقعات الأخلاقية وأشكال التعبير والتقييم، لا تستغني خلال التواصل اليومي عن أن تتداخل وتتفاعل، وللوصول إلى فهم العالم المعيش يتطلب تراث حضاري يتخلل المنظور كله..."[17]، إن التواصل في معناه العميق هو استحضار للتراث وتفاعل بين معطيات الذوات ضمن إطار من الاحترام والمعقولية، وهذا يتطلب تعينا لميادين المتحاورين "... إحداها كطبيعة موضوعية عندما تعتمد الموقف الافتراضي الملاحظ، والثاني كحقيقة اجتماعية معيارية عندما تعتمد الموقف الإنجازي لطرف ما في التفاعل، والثالث كطبيعة ذاتية لمن تعتمد الموقف التعبيري...هذه الضرورات الصلاحية (الحقيقة والصحة والواقعية) والتي تجعلها مقترنة ضمنيا بكل فعل لغوي..."[18]، يتطلب التواصل ضرورة إرساء معقولية وتبرير الصحة.

ينتج الفعل الأداتي، في مقابل العالم الطبيعي، الذي أصبح معه العقل وهو إنتاج السيطرة على الموضوع، والهيمنة عليه وذلك عبر التقنية، "...فالعلم الحديث لم يعد مجرد تأمل الكينونة بل أصبح خاضعا للأساليب التقنية، ينظر **هيدجر** إلى التقنية كأنها ميتافيزيقا جديدة مرتبطة بإرادة القوة..."[19]، فالميتافيزيقا والتقنية يمكن فيها انطلاقا من انسحاب الكينونة،"...إن **هابرماس** انتقد التقنية بالولوج في العالم التواصل والمناقشة العقلية، البرهانية، ورأي أن **هيدجر** لم يميز بين ما هو أداتي ذرائعي منتج للتشيؤ، وما ساعد الإنسان على تحرر..."[20]، واعتبر أن الفعل التواصلي هو البديل لعقلنة الطبيعة، وأسس لصيرورة الإجتماعية وتفاعل الأفراد مجموعة فاعليات لخصها في ما يلي:

---

[17] المرجع نفسه، ص 190.

[18] المحمداوي علي عبود ، إسماعيل مهنانة، مدرسة فرانكفورت،ص45.

[19] مرجع نفسه، ص 45.

[20] حمدي أبو النور ، المرجع السابق، ص 105.

أ- الفاعلية الإستراتيجية: هي فاعلية تنافسية تهدف إلى قمع أفعال الأخرين، يهدف المشارك فيها إلى التغلب على الأخر بهدف النجاح والسيطرة وقد يحصل داخل الأنساق الاجتماعية بأسلوبها القسري من خلال الترشيد والمراقبة للإنسان وحياته.."[21] تمثل هذه الفاعلية أسلوب التنافس الذي يسعى للسيطرة والتغلب.

ب- الفاعلية التواصلية: التواصل بين الذوات الفاعلة، المشاركة البينيذاتية في نقاش تداولي....، و هي فاعلية مشاركة.

ج- فاعلية التأمل والتحرر: يمثل وسيلة لكشف ظاهرة الأدلجة والانفكاك منها تتحقق بتأسيس لفكرة المجتمع العقلاني وقد تمثل اللغة ونمط الاتفاق والاعتراض..."[22]، حيث يسعى من خلالها لتأسيس تحرر حقيقي.

يميز هابرماس بين ثلاث أنواع من المصالح، هناك من ينظم العلوم التجريبية وهي مصلحة التقنية أو الأداتية وكذلك مصلحة التواصل، "...المصلحة من أجل التحرر أنها توفر الإطار المرجعي للافتراضات النقدية، باعتبار أن التأمل الذاتي يحرر الذات من تبعيتها للقوى الراكدة، المصالح هي التوجهات الأساسية المرتبطة بشروط رئيسية لإعادة الإنتاج والتكوين الذاتي الممكنين للنوع البشري أي المرتبطة بالعمل وبالتفاعل..."[23] ، كل نمط معرفي يخضع لتوجيه مصلحة خاصة، "...ومن أجل الكشف عن المصالح الثاوية وراء كل نشاط معرفي يتعين ممارسة التأمل الذاتي في بعده الاستكشافي النقدي..."[24].

اهتم هابرماس بنقد المعارف، وجعل من التأمل الذاتي موضوع ينعكس على الذات "...ليكشف فيها عن مواطن الأدلجة والتشويه واللاشعور المسيطر على الذات..."[25]، ومهمة فاعلية التأمل والتحرر، الكشف عن هيمنة الأنساق من أجل انعاش مشروع التواصل وتحريره، من اجل تحقيق غايته الإنسانية وهي الفهم وتحويل الفهم إلى وسيلة

---

[21] المرجع نفسه، ص105

[22] المرجع السابق، ص105.

[23] أفاية نور الدين مرجع سابق، ص64

[24] المرجع نفسه، ص65.

[25] علي عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانة ،المرجع السابق، ص 46.

لتحقيق الإجماع عبر النقاش بين الأفراد، "...وبذلك تمثل فاعلية التأمل والتحرر وسيلة لكشف ظاهرة الأدلجة والانفكاك منها...."[26] ، يقوم **هابرماس** بإعادة اكتشاف الإنسان مسار العقلانية و إحياء موروث الانسان الانواري، فقط ربط بين التواصل والعالم المعيش، كما وظف مفهوم المجال العمومي باعتباره مجالا للمناقشة والبرهنة فما هي دلالة المجال العمومي، وكيف نميزه عن باقي المجالات؟، "...المجال العمومي موضوعه الجمهور الذي يعبر فيه عن معارضتهم السلطة..."[27].

4- المجال العمومي و دور اللغة في زعزعة التعالي الفكري و فتح الحوار مع الآخر

حدد **هابرماس** دور الإنسان في المجال العمومي، واقترح النموذج الليبرالي الذي يقوم بتكوين الرأي العام، عن طريق المناقشة العمومية،"...هذا النموذج يأخذ في الحسبان تعدد أشكال التواصل التي من خلالها تتكون إرادة جماعية، ليس فقط على التفاهم الأخلاقي للهوية الجماعية بل أيضا على المعادلة القبلية في المصالح، والضغط القائم على الاختيار العقلاني وفق الحدود النهائية للوسائل المملوكة من قبل الاثبات الأخلاقي والتجانس..."[28]، حيث تحدد الهوية الاجتماعية النموذج التواصل ضمن أخلاقياتها الخاصة.

وفق هذا تجاوز **هابرماس** الأطروحات المرتبطة بالوعي، "...وهنا يصبح التواصل ضرورة علمية لكل تفكير اجتماعي، وقد ربط **هابرماس** بين التواصل والعالم المعيش المحرك للأفعال التواصلية..."[29]، حيث أن التواصل يستمد مادته من فضاءه المعيش ويستجيب لضروراته، "...إن فكرة العالم المعيش تعني عالم الوجود مثلما يحياها الإنسان يوميا في محيط اجتماعي مقرون بسياق اقتصادي وثقافي، فهو عالم التجربة الآنية كما

---

[26] علي عبود المحمداوي وإسماعيل مهنانة ،المرجع السابق، ص226

[27] المرجع نفسه ، ص226.

[28] المرجع السابق ، ص229.

[29] المرجع نفسه، ص 234.

يعيشه الإنسان وهو عالم يتعلق ببنية الإنسان الثقافية..."[30]،لا يماثل المجال العمومي التنظيم السياسي المهيمن على الإنسان المعاصر.

ربط **هابرماس** الديمقراطية بنظرية المناقشة والتكوين السياسي للرأي العام الذي يلعب دورا في توجيه السلطة العمومية،"...وهو النموذج الفاعل، المستقل والمسؤول الذي يحدد لنفسه بنفسه، قوانينه الخاصة من غير رجوع إلى سلطة خارجية، ويدعم **هابرماس** مشروع الأنوار المتمثل في تحقيق النقاش الحر العقلاني، انطلاقا من خاصية الكلية عن طريق الإقناع العقلي لا القوة والقهر، "...إن عمليات الدخول إلى الحياة يتطلب نوعا من الشمولية والكلية ويسمح للأفراد الاشتراك في النقاش لمعايير يؤسسها وعي أخلاقي..."[31]. ركز **هابرماس** على التداولية، فالنشاط الفكري عند الإنسان المعاصر يشكل نظاما فلسفيا لتفسير الفكرة والتمهيد للعمل وتحقيق نتائجها في الواقع المحسوس، فقسم اللغة إلى المخاطب، المتكلم، مضمون العبارة، وما ينويه المتكلم، فأصبحت اللغة تعبر عن الحدث خاضع للمواضعة الاجتماعية، وتستعمل لتمثيل الفكر وانجاز الفعل.

ظل الإنسان الأنواري خاضعا للعقل الأذاتي الذي أنتجته الحداثة فأغرقته في الوحدانية، فاقدة له معنى الحياة وجعلت قنوات التواصل هزيلة، ولم تستطيع الأنساق الفلسفية في وصف شمولي للعلاقات البشرية تحريره، "...وخلق البعد التقني للحضارة الإنسانية المعاصرة تشيؤا معرفيا واغترابا..."[32]، لقد تدفقت ثورة المعلومات التي عصفت بالعلاقات الإنسانية واندثرت على إثرها أواصر التواصل بين البشر، وتبدلت القيم فتحولت فلسفة الوعي إلى التداولية، لتوجيه الإنسان المعاصر، بإرساء قواعد التفاعل الخطابي بتوطيد معاني الذوات والتحرر من العقل الذاتي، وتحقق التفاهم البيننذاتي، والحوار الجاد في وصل الأفراد في نسيج اجتماعي متفاعل.

---

[30] حمدي أبو النور ، المرجع السابق ص 194.

[31] حمدي أبو النور ، المرجع السابق ، ص240

[32] علي عبود المحمداوي، إسماعيل مهنانة، المرجع السابق، ص244.

5- امتدادات التواصل في فلسفة كارل أوتو آبل

شرع **كارل أوتو آبل Karl-OtooApel1922** في إعادة تأسيس الفلسفة الترنسدنتالية عن **كانط**، ودعمها بآليات المنعطف التداولي، "...مند كتابه الشهير **تحولات فلسفية** واصل **آبل** الاشتغال وبشكل نظامي على إعادة تشكيل للفلسفة الترتسندنيالية الكانطية واضعا في الحساب تغيير النموذج، فقد استبدل الوعي الذاتي المكتفي بالعقل وحده بمجتمع تواصلي وتفاعلي..."[33]، حيث لم يعد الوعي ذاتي و إنما أصبح تفاعليا.

تأثر **آبل** بإتيقا المناقشة التداولية، وعمل على إخضاع الممارسات الإنسانية للحجة والبرهان "...فالمناقشة الحجاجية باعتبارها شكلا فكريا للتواصل تختص بالعالم المعيش، وعوض **آبل** أفكار **كانط** المتمركزة على الذات وملكة الفهم، بنموذجه التداولي المستند على الحوار و الحجاج..."[34]، وضع **آبل** في مشروعه رهان الإنسان المعاصر وما خلفته التقنية في ظروف اجتماعية معقدة في حياته، وضرورة تحمل المسؤولية باختياراته، وهذا تجاوز للفهم الكانطي للأخلاق القابل للاستقلالية واحترام الواجب لذاته فقط، و"...يهدف آبل إلى تأسيس شكل إجرائي يسهل انسيابية النقاش والحوار بغرض الوصول إلى نتائج، وأن يكون النقاش حقيقي، واقعي يدور حول مصالح البشر كما هي متجلية في واقعهم الاجتماعي والتاريخي..."[35]، لقد حاول **آبل** تأسيس أتيقا للأخلاق بعدما كادت أن تفرغ من معانيها السامية تلهث وراء اللذة والسلبية.

يعتقد **آبل** أن أخلاقية الحوار وأسلوب الإقناع المؤسس على البنية والبرهان، هو الحل الوحيد لتحقيق قيمة الإنسان المعاصر والابتعاد عن النرجسية والأوهام المزيفة والأنانية، "...لقد ظلت الأخلاق تئن تحت تأثير وسائل الدعاية وأشكال التسويق، وأنماط السلوك المرتبطة بنظام الإنتاج الصناعي والرأسمالي التي أضفت على علاقات الناس بعضهم ببعض علاقات حسابية و منفعية..."[36]، فأتيقا المناقشة تتمثل في "...إن للعقل

---

[33] المرجع نفسه، ص 259.

[34] علي عبود المحمداوي، إسماعيل مهنانة، المرجع السابق ، ص259.

[35] المرجع نفسه ، ص262.

[36] المرجع السابق، ص 261.

بنية منطقية تتيح اعتماد البرهان كضرورة لأي تأسيس أو تقعيد لما يختاره الإنسان من نظم..."[37].

يتخذ الحجاج شرطا ضروريا مناسب للزمن الراهن المتميز بانتشار التقنية وسط تضارب الاعتقادات الدينية المتشددة واختلاف الرؤى حداثية، فوجب تحضير الجو الملائم لهذا الراهن، حسب **آبل** بتأسيس عقل عملي يعمل على إنتاج الحجج المقنعة والمؤسسة "...ففي المناقشة ستتم محاولة الفهم والتفاهم بالمقال والخطاب، بتقديم حجج ومناقشة أخرى وفي هذا المجال نقوم بإنتاج منطوقات أو ملفوظات مقعدة تأخذ شكل اقتراحات، فعندما نقوم في إطار مناقشة معينة بتأكيد شيء معين أو نفيه، فإن ذلك يعني تطلعا منا لامتلاك الحقيقة..."[38]، فلا سبيل لبلوغ الحقيقة الذي استشكل على المعرفة الإنسانية إلا بالحوار، واتيقا المناقشة واحترام الرأي المخالف وعدم طمسه وتحقيره، وبهذا يتحقق الاتفاق والإجماع بين الأطراف المعنية المتخاصمة.

وهنا يتفق **آبل** مع **هابرماس** على ضرورة احترام الخطاب التواصلين وذلك وفق شروط معينة تتمثل في المعقولية: إنتاج خطاب تتوافر فيه الصحة التركيبية وتحترم فيه الصحة اللسانية، الحقيقة: أي في المقال ستكون القول عن وقائع حقيقية ،المصداقية: تطابق الفعل اللغوي مع مقتضيات مخطط سابق معترف به من طرف المجتمع، الصدقية: التعبير عن مكنون الصدور والمقاصد والنوايا بأسلوب صادق وواضح غير ممزوج بالمداهنة والرغبة في التضليل..."[39]، وبذلك اصبح للحوار شروط فعلية تركز على ما هو أخلاقي بالدرجة الأولى، باعتباره يعكس رهان التواصل الفعلي.

قدم **آبل** و**هابرماس** إثراء لنظرية كانط الأخلاقية، وأفرغوها من الواجبات الصورية إلى الفعل، وبهذا حل التواصل والمجادلة مكان القيم الأخلاقية للإنسان الانواري الصورية المجردة، و أصبح سبيلا مثاليا لتحقيق الجوهر العقلي، كما يحقق هذا النقاش

---

[37] المرجع نفسه، ص 261.

[38] علي عبود المحمداوي، إسماعيل مهنانة، المرجع السابق، ص 262.

[39] المرجع نفسه، ص 263.

الأخلاقي الموضوعية والشمولية لاتخاذ القرارات، بعد التبرير والتعليل وتبادل الحجج اجتنابا لكل عنف مادي ولفظي، واجتناب الاستبداد السياسي والفردي.

6- اللغة و دورها في تحقيق التواصل

لقد اهتم **هابرماس** و**آبل** بتقويض فلسفة الوعي بأسس فلسفية لتواصل البنيذاتي، فالمعنى لا تنتجه ذات واحدة، وبهذا يحتاج العقل النظري والعملي في ما بعد الحداثة إلى تبادل وجهات النظر بين الأنا والأخر، فخبرتنا بالآخر خبرة لغوية وليس فعلا ذاتيا، وفهم الآخر ليس التلاعب والسيطرة بل المشاركة والانفتاح، فاللغة تمثل أرضية المشاركة بين الذوات والفرد يجد تعبيره الكامل القابل للفهم موضوعيا، "...فالتواصل البنيذاتي يمثل القاعدة لعملية التشارك والتعاون الاجتماعي وذلك عبر وسيط اللغة في السجلات والنقاشات..."[40] كما عوّض آبل الشروط الترنستدنتالية القبلية بالشروط التداولية الترنستدنتالية وهذه الشروط حصيلة التذوات، " ...فاللغة هي الوسط الذي تشارك فيه المعاني فتعبر عن ذاتية الفعل والتعاطف وتبادل المشاعر، وبهذا تتوطد صلة الفرد بالأخر دون ضغط بغية تشكيل لحمة النسيج الاجتماعي، وفق نموذج اتيقا المناقشة باستلهام من العقلانية التنويرية الأصلية، كما تصورها المشروع الحد اثوي في الغرب..."[41].

تضاءل وجود الإنسان الانواري الذي ردّ كل الكائنات إلى مقاسه كونه مصدر التصورات، وهو الناطق والمتمثل لكل موجود، فظهر تيار فلسفي يقوم على الاختلاف والتغاير، وتشخيص واقع الإنسان المعاصر وتطوير أنماط جديدة من الأفكار كالانفصال بدل الاتصال، التكاثر بدل الاختزال فأحيت هذه الآراء الإنسان وأضاءت تفكيره، بعدما شلته ميتافيزيقا الذات التي كانت تخضع كل شيء لنظام قيمة ذاتية، لقد انتقد فلاسفة الاختلاف، الانعكاسات السلبية لمشروع الحداثة، وبسط التقنية على حياة الفرد، واعتبار الكائنات كما لو كانت أرقاما في المصنع فتحولت الفلسفة إلى كلام مقال، وظهرت كتابة جذرية ردا على فلاسفة الأنساق، التي فرضت تصوراته الكلية على الأشياء والأفكار وعملت

---

[40] المرجع السابق، ص 263.

[41] علي عبود المحمداوي، إسماعيل مهنانة، المرجع السابق، ص 263.

على تجميع المفاهيم المتناقضة، و أصحبت ذات الإنسان يعيش انقساما وشرخا بعدما كانت موضوع للملاحظة العلمية والدراسة العقلانية، فالإنسان يعيش التجربة ويتواصل مع الأخر، ويفهم الأخر في تموضعاته.

اختلف فلاسفة ما بعد الحداثة مع **هابرماس** مثل **ليوتار** الذي يرى "...إن المعايير التي تنظم دعاوي الحقيقة المعرفية مشتقة من ألعاب لغوية تعتمد على السياق، ويولي نموذجه الرئيسي أولوية للإجراءات التي تميز المعرفة الذواتية..."[42]، إن العلم بعد الحديث يتبع الأهداف التقنية والتجارية للأداء الأمثل، وهو نشاط المغالطة، وهكذا يظهر مصدر جديد للشرعية يتم استثماره في أنماط قصصية.

كما نجد **ليوتار** ينتقد مشروع هابرماس بالرّد عليه في 1980 في مقال " **الحداثة مشروع لم يكتمل**"...فقد هاجم فلاسفة ما بعد الحداثة العقل ونظروا إلى فكرة الإنسان ومفهوم الذاتية على أنها ما هي إلا نزعة أنويه، وحفاظ على الذات وعلى الجانب الأخر دافع هابرماس عن العقل تحت مسمى العقلانية التواصلية..."[43]، اعتبر **ليوتار** أن كل النظريات ما هي إيديولوجيات تضفي الشرعية على الوضع الراهن، وان نظرية **هابرماس** شكل مزيف لفكرة يقدم الإنسانية نحو التحرر و الانعتاق فما هي إلا فلسفة سردية، ويقسم **ليوتار** النظريات إلى نوع قصة تحكي كيفية التحرر والثانية تسرد تحرر الفرد من قيودهن "... وقد حكم **ليوتار** على فلاسفة التاريخ بأنها ميتافيزيقية إضفاء نظام منطقي ونسقي على الأحداث لتثبيت سيرها نحو غاية مثالية..."[44].

---

[42] عطيه أحمد عبد الحميد ، ليوتار وما بعدد الحداثة، المرجع السابق، ص 11.

[43] عطية أحمد، المرجع السابق، ص 168.

44 المرجع السابق، ص 171.

الخاتمة

فالعودة القوية للغة كوسيلة للتواصل و الاتصال لا يمكن فهمها بمعزل عن التحولات الثقافية.في زمن العولمة التي تسعي لاكتساح عالم الرموز. و بما أن الفرد هو فاعل اجتماعي له دور في تحقيق التفاعل فهو يستعمل موارده اللغوية لكنه يعيد بنائها باستمرار لأنه ليس هوية في ذاتها و لذاتها بل في علاقة دائمة مع الآخر.ومن هنا يأتي التفكير في تكريس أسس التواصل حتى نتجاوز الانغلاق الذي يقذف بالأخر إلى خارج حدود الإنسانة .وينبغي فهم اللغة و مشروع التواصل في معنى انطولوجيا. فالقول و البلاغ و الإعلان عن الإخبار هي مشاركة في التواصل مع الغير وفهم شعوره و معاناته أي فهم الوجود مع الغير و دللك وبهذا يتحقق التفاهم من حيت هو مجموعة من الأفعال المعرفية – الاجتماعية تستند إلى شروطه وهي الرموز و السنن. و تعتمد على التعقل و النقد و التواصل الإنساني كفيل بإخراج الهوية من الانغلاق إلي أن يفقدها حقيقتها و يبعدها عن التصادم. فالتوصل هو الذي يمكننا من التموقع في العالم واحترام الغير و ة ومراعاة وضعية الذات و التفتح على التغيرات وكما يقول ادغار موران "فالاتصال بالأخر هو خامة وجود الذاتية، وبيئة وجود الشخص وبدونها يهلك[45]

45 :ادغار موران ،النهج انسانية البشرية ،الهوية البشرية ،ترجمة هناء صبحي ،هيئة ابوظبي للتقافة و التراث ط12009 ص94